

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصَّلَاةُ أَسْرَارٌ وَآدَابٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْرَنَا بِشُكْرِهِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِذِكْرِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ الصَّلَاةَ سَبَبَ الْفَلَاحِ، وَطَرِيقَ النَّجَاحِ، وَدَلِيلَ الإِيمَانِ، وَسَبِيلَ الْوُصُولِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، خَيْرَ مَنْ صَلَّى وَخَشَعَ، وَذَلَّ لِرَبِّهِ وَخَضَعَ، وَعَلَى اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَةِ اللَّهِ:

لَقَدْ مَرَّتْ بِنَا ذِكْرَى الإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ مُنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا أَعْظَمُ نَصِيبٍ، وَلَنَا مِنْهَا أَيْضًا نَصِيبٌ، أَمَّا نَصِيبُ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ الَّذِي ذَكَرَتْهُ آيَةُ الإِسْرَاءِ (لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا) (١)، أَمَّا نَصِيبُنَا نَحْنُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ وَجَعَلَهَا رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ، وَمُنَاجَاهَةُ وَمَعْرَاجًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّ الْعَالَمِينَ، بِأَدَائِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا يَسْأَلُ الْمُصْلِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ وَالنُّورِ، وَبَيْنَ أَعْنَى عَنِ الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (٢)، وَيَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((الصَّلَاةُ نُورٌ)), إِنَّهَا نُورٌ فِي حَقِيقَتِهَا، وَنُورٌ لِمَنْ أَقَامَهَا وَحَفَظَهَا، وَلِالصَّلَاةِ تَأْثِيرُهَا الْفَعَالُ فِي التَّغْلُبِ عَلَى الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ، وَالْتَّهْوِينِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، لِذَلِكَ أَوْصَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْجُوعِ إِلَيْهَا وَالاستِعَانَةِ بِهَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَعِنُو بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» (٣)، وَقَدْ كَانَ

(١) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٢) سورة العنكبوت / ٤٥ .

(٣) سورة البقرة / ١٥٣ .

الرَّسُولُ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ - أَيْ نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ أَصَابَهُ غَمٌّ - فَرَأَى إِلَى الصَّلَاةِ، وَكَانَ يَجِدُ فِي الصَّلَاةِ قُرْبَةً عَيْنِهِ وَمَسَرَّةً قَلْبِهِ فَيَقُولُ: ((جَعَلْتُ قُرْبَةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)), فَهِيَ رَاحَةٌ لِلنَّفْسِ، وَطُمَانِيَّةٌ لِلْقَلْبِ، كَيْفَ لَا؟ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَانِ الذِّكْرِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا إِذَا ذِكْرُ اللَّهِ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الَّذِي يَنْظُرُ فِي حَالِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ يَجِدُ أَنَّهُمْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - قَدْ أَقْبَلُوا عَلَى الْمَسَاجِدِ يُؤْدِنَ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَا يُعْطِي الصَّلَاةَ حَقَّهَا مِنَ الْإِقَامَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي عَلِمَنَا إِيَّاهَا رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ، وَمِنْ هُنَّا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا تُؤْثِرُ فِيهِمْ، فَلَمْ يَتَوَرَّوْا بِرَوْحَانِيَّتِهَا، وَلَا اسْتَفَادُوا مِنْ بَرَكَتِهَا، أَجْسَادُهُمْ فِي بُيُوتِ اللَّهِ، وَعُقُولُهُمْ سَارِحةٌ فِي الدُّنْيَا، فَلَا يَدْرُونَ كَمْ صَلَوَا، وَلَا كَمْ رَكْعَةً أَدْوَا، وَفِي الْأَثْرِ: ((لَيْسَ لِلْمَرءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا)), وَكَمْ مِنْ أَنَّاسٍ يُصْلِلُونَ صَلَواتِهِمْ وَلَا يُكْتَبُ لَهُمْ مِنْهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْمُصْنَطَفِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((أَسْوَأُ النَّاسِ سَرْقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، فَسَئَلَ: وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ فَقَالَ: لَا يُقْيِمُ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا قِيامَهَا وَلَا خُشُوعَهَا)), وَلَنْحَذِرْ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْإِلْتِقَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَهُوَ أَمْرٌ تَابِعُ الصَّلَاةِ الْخَاسِعَةِ، وَهُوَ اخْتِلَاصٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ.

إِخْوَةُ الإِيمَانِ:

مِنْ أَخْطَاءِ بَعْضِ النَّاسِ عِنْدَمَا تُقامُ الصَّلَاةُ وَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الْوُضُوءِ تَرَاهُمْ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يُسْبِغُونَهُ، وَتَشَاهِدُهُمْ يَسْعَوْنَ رَكْضًا إِلَى الصُّفُوفِ لِإِذْرَاكِ الصَّلَاةِ، وَهَذَا أَمْرٌ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ((إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأَتُوْهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ؛ فَمَا أَذْرَكْتُمْ فَصَلَوَا، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا)), لَقَدْ أَمْرَنَا اللَّهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَأَنْ نُحْسِنَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَقِرَاءَتِهَا، حَتَّى نَسْتَخْلِصَ أَثْرَهَا وَرَوْحَانِيَّتِهَا، وَنُورَهَا

وَبَرَكَتَهَا، وَأَمَّا ذَلِكَ الْمُصْلِيُّ الَّذِي لَا يُقْيِمُ صَلَبَةً فِي الرُّكُوعِ فَلَيَسْمَعْ قَوْلَ نَبِيِّهِ ﷺ فِيهِ: ((الصَّلَاةُ لِمَنْ لَمْ يُقْيِمْ صَلَبَةً فِي الرُّكُوعِ))، وَلَيَنْتَهِيَ الْمَأْمُومُونَ إِلَى أَنَّ الَّذِي يُسَابِقُ الْإِمَامَ فِي قِيَامٍ أَوْ رُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ أَوْ قُعُودٍ أَوْ قِرَاءَةٍ يُعَرِّضُ صَلَاتَهُ لِلْفَسَادِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ إِمَامًا لِيؤْتَمَ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَانْتَهُوا لِأَمْرِ الصَّلَاةِ، فَهِيَ أَمَانَةٌ فِي عُنْقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، وَهِيَ مِنْ أَوْلَى مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَاحَ سَائِرِ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ تُنَاجِونَ رَبَّكُمْ، فَاحْذَرُوا مِنْ مُخَالَفةِ مَنْ تُنَاجِونَهُ، وَمَنْ يَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَهُ وَتُخْفِونَهُ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَلَيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيَهُ)).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** * *** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَ الصَّلَاةَ بُرْهَانًا عَلَى صِحَّةِ الإِيمَانِ، وَمَعْرِاجًا يَرْقَى بِهَا الْمُؤْمِنُ إِلَى رِضا الْوَاحِدِ الدِّيَانَ، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، إِمَامَ الْعَابِدِينَ، وَخَيْرُ الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ، ﷺ وَعَلَى الْهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الصَّلَاةَ الصَّحِيقَةَ الْمَقْبُولَةَ عِنْدَ اللَّهِ هِيَ الْمَصْحُوبَةُ بِالْطَّمَائِنَةِ وَالسَّكِينَةِ، الْمُقْتَرَنَةُ بِرُوحِهَا وَمَصْدَرِ قُوتِهَا الْخُشُوعُ، وَبِدُونِ ذَلِكَ لَا يَكُونُ لَهَا عَلَى النَّفْسِ وَلَا فِي الْحَيَاةِ أَثْرٌ، وَإِنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْخُشُوعِ: الْاجْتِهَادُ فِي دَفْعِ الْخَوَاطِرِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الشَّاغِلَةِ، سَوَاءً كَانَتْ ظَاهِرَةً أَوْ بَاطِنَةً، فَالْأَشْيَاءُ الظَّاهِرَةُ هِيَ مَا يُشْغِلُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَهَذِهِ تُعَالِجُ بِنَظَرِ الْمُصْلِيِّ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَعَدَمِ اصْطِحَابِ مَا يُشْغِلُهُ، أَمَّا

الأشياء الباطنة من تشبع الفكر في هموم الدنيا فإنها تعالج بالتدبر لما تشتمل عليه الصلاة من قراءة وذكر ومناجاة، وإن المصللي إذا استشعر الوقوف بين يدي خالقه، وقدر الأمر حق قدره، واستقر في جناته عظمة الله وجلاله؛ خشع في صلاته وأقبل عليها، وسكتت جوارحه فيها، واستحق المديح القرآني: «قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خشعون»^(١). فإذا أردت - أيها المسلم - الخشوع فامعن فيما تقوله في صلاتك مستحضرًا معانيه، مستشعرًا عظمة الله المعبد الذي أنت واقف بين يديه، فإذا قلت "الله أكبر" فحسن بك أن تذكر في قلبك أن الله تعالى أعظم من كلّ عظيم، فلا يصح أن يشغلك في الصلاة شيء دونه، وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فتصور أنك تلجم إلى الله تعالى وتغتصب به من أحاديث النفس الشاغلة عن الصلاة، وهكذا في بقية صلاتك تكون يقط القلب، صادق الشعور، حاضر الذهن في كل ما تقوله وتعمله حتى تصرف منها.

فأتقوا الله - عباد الله -، وحافظوا على صلواتكم، خاضعة قلوبكم، ساكنة جوارحكم، وتأملوا عظمة الصلاة واعرفوا أسرارها، لتفطروا ثمارها، واعلموا أنها وصيّة الله لكم في أشرف كتاب حيث قال جل وعلا: «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين»^(٢).

هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المحبّلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاحة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليما: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يتايمًا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما»^(٣).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صلّيت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد

(١) سورة المؤمنون / ١ - ٢.

(٢) سورة البقرة / ٢٣٨.

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦.

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعِلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعِلْ تَفْرِقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفْرِقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَ وَالْعَفَافَ وَالْغُنْيَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلَّاً مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاکْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْنَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرُجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

